الباب السادس

الجمهورية

٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٢ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٩٥

الفصل الأول

المؤتمر الوطني

أريد قبل أن أحدثك عن المؤتمر الوطني أن أذكرك بأن الجمعية الوطنية الأولى كانت تسمى بالجمعية المؤسسة لأنها أخذت على عاتقها وضع دستور للبلاد فلما وضعته وانتهى عملها انحلت. وتولت الجمعية التشريعية حكم البلاد بمعاونة الملك وبقيت هذه الحكومة من اكتوبر سنة ١٧٩١ الى سبتمبر سنة ١٧٩٢ حيث سجن الملك وأعلن انقضاء عهد الملكية في فرنسا ودعي المؤتمر الوطني ليرسم للبلاد نظام حكومة جديدة. فهو من هذه الوجهة يشبه الجمعية المؤسسة الأولى غير أن واجبه كان أوسع من واجبها اذ لم يكن الغرض من

اجتماعه مقصوراً على وضع هذا النظام فحسب بل كان يشمل أيضاً القيام بمهمة الحكم ريثما يفرغ من انشاء الحكومة الجديدة ووضع نظاماتها . فكان المؤتمر فى الحقيقة نائباً عن الشعب فى كافة مظاهر سلطته الشرعية فى الوقت الذى خلت فيه البلاد من الحكومة ليتولى حكمها فى الداخل ودفع غارة الاعداء عنها فى الخارج وليقرر شكل حكومتها النهائية بعد أن انقضى عهد الملكية فيها (١)

وجرت الانتخابات لهذا المؤتمر فى وقت عصيب كانت نار الحرب مشتعلة فيه بين فرنسا والدول المتحالفة . والملك وأسرته رهائن فى (التامبل) وأنصار الملكية ينكل بهم فى كل مكان . ولجان الثورة والأندية اليعقوبية متسلطة على الأذهان فجاء هيئة ديمقراطية ثورية للغاية القصوى يكاد تطرفها يجنح بها الى الفوضى وكان أعضاؤه وهم يزيدون على السبعمائة لا يكاد يرى بينهم عضو واحد قد انصرفت ميوله الى الحزب الملكى أو حزب الدستور .

فكان الجيرندیون هم حزب اليمين هذه المرة وكان كل همهم التغلب على الكومون واسترداد السيادة من يده — وكان الحزب المتطرف هو حزب اليعاقبة الذين نصبت مقاعدهم فوق المقاعد السفلى واطلق عليهم لذلك اسم (الجبل) . أما الحزب الثالث فكان

(١) الجمعيات الوطنية (للرافعى)

ضعيفاً لا رأى له الا ما يحمله عليه الجيرنديون بقوة حجتهم أو ما يدفعهم اليه اليعاقبة بارهابهم . وكان يطلق على هـذا الحزب نظراً لوقوعه تحت (الجبل) اسم السهل .

وبلغت المنـافسة بين الحزبين الرئيسيين فى هيئة المؤتمر أشدها فكان كل فريق يهتم بالاستئثار بالسلطة واخماد أنفاس مناظره اهتمامه بالتغلب على عدوه الخارجى . وكان فى هذا المؤتمر من زعماء الجيرنديين فرنيو وبريسو اللذان اشتهرا فى عهد الجمعية التشريعية . كما كان بين زعماء اليعاقبة هذه المرة روبسبير الذى أصبح فيما بعـد دكتاتور فرنسا وزعيم الارهاب . ومارا الطبيب صاحب جريدة (صديق الشعب) وأشد دعاة الثورة حماسة . وألد أعداء الجيرنديين . وأكبر زعماء الارهاب قسوة وتطرفاً . ودانتون المحامى الذى كان وزيراً للحقانية فى الوزارة الأخيرة ورئيساً لبلدية باريس . وكامى ديمولان الصحفى والخطيب الشهير وصديق دانتون الحميم الذى اتهمه روبسبير فى أيام دكتاتوريته بأنه يعمل مع دانتون على التآمر ضد الجمهورية وساقهما معاً الى الجيلوتين . وغيرهؤلاء كثير يضيق المقام عن ذكرهم أجمعين

ولم يكد يجتمع المؤتمر حتى أخذ فى تأليف اللجان العديدة للقيام بما كان مطلوباً منه من الواجبات الكثيرة فاختصت لجنة بالتشريع

ولجنة بالمالية ولجنة بالشئون الحربية ولجنة بالشئون الخارجية وغيرها بوضع الدستور وهكذا .

وكان أول اجتماع عقده المؤتمر فى ٢٠ سبتمبر حيث اجتمع فى سراى التويلرى وفى ٢١ أعلن انتهاء عهد الملكية وافتتاح عهد الجمهورية . ثم أبطل استعمال لقب (مسيو) (ومدام) وسائر الالقاب التى تستعمل فى مقام الاحترام ولستبدلت جميعها بلفظ (مواطن) للذكور (ومواطنة) للاناث وأطلق على دوق أورليان نفسه زعيم المبشرين بمبادىء الثورة من حرية وأخاء ومساواة لقب (المواطن مساواة) وسبب هذا الانفعال الشديد أن القوم ما كادوا يذوقون طعم الحرية التى حرموا منها أجيالا طويلة حتى ثارت عواطفهم لدرجة تقرب من الجنون وأخذتهم هذه النوبة العنيفة ضد كل أثر من آثار العهد القديم حتى أصبحوا ينظرون الى كل من ينتمى الى النبلاء كأنه جرثومة شر وفساد لا تصلح حال الامة الا بعد ابادتها والتخلص منها . وكان من جراء ذلك ماوقع من المذابح الشهيرة التى انتهت بعهد الارهاب .

على أن الناس فى بادىء الأمر كانوا يستنكرون الاسراف فى القتل وسفك الدماء . وأدى ذلك الى رجحان كفة الجيرندبين فى أول عهـــد المؤتمر على الجبليين المتطرفين . حتى أن بعض

الجيرنديين وجه التهمة الى روبسبير ومارا بأنهما أصل الفظائع التى كانت ترتكب فى أنحاء فرنسا عقب وقوع مذابح سبتمبر فى باريس تمهيداً لارهاب الناس وحملهم على قبول سيطرتهم واستئثارهم بالسلطة فى ادارة شئون البلاد . ولكن الجمعية لم تر من الادلة ما يكفى لادانتهما فلم تعمل على محاكمتهما وأسرها روبسبير فى نفسه لخصومه وكان هذا الحادث من أكبر العوامل التى جعلته يلعب ذلك الدور الهائل الذى مثله فى عهد الارهاب .

الفصل الثانى

الحرب مستمرة

لم تكن الحرب قد قرت رحاها بعد ارتداد البروسيين عن فالمى فى ٢٠ سبتمبر فان جيوش الثورة أخذت تطارد أعداءها . فأوغل (كاستين) فى ألمانيا واستولى على مدينة ماينز (٢١ أكتوبر) وتقدم ديموريه نحو البلچيك وقاتل النمساويين فى (چيماب) (٦ نوفمبر) وأوقع فى صفوفهم الهزيمة فأخلوا له الجو من بعدها من غير قتال وكانت الجيوش الفرنسية تعلن فى كل مكان تحل به أنها لا تبغى الاعتداء على حرية الشعوب ولكنها تعمل على نشر مبادىء الثورة وأصدر المؤتمر فى ١٩ نوفمبر قراره الشهير :

[أنه يعلن باسم الأمة الفرنسية استعداده لمعاونة كل شعب يجاهد فى سبيل حريته . ويكلف قواد الجيش الفرنسى بأن يمدوا يد المساعدة لكل أمة تضطهد بسبب هذا الجهاد] .

فطلب البلجيكيون أن ينضموا الى الجمهورية الفرنسية وقبل المؤتمر هذا الطلب كما قبل طلب انضمام سافوا كذلك بناء على رغبة أهلها .

وهكذا كتب النصر لفرنسا فى الخارج بينما هى يمزقها الانقسام والمنازعات الحزبية فى الداخل فان الجيرنديين ما انفكوا يدبرون كل وسيلة لاستعادة السلطة بعد أن انتزعها منهم رجال ١٠ أغسطس وأودعوها فى يد (كومون باريس) ولمثل ذلك كان يعمل العاملون من الجبليين فانهم ودوا لو يقضون على الجيرنديين حتى يتم لهم الامر ويتخلصوا من منافسة ذلك الحزب القدير الخطر فأثاروا مشكلة الملك السجين ونادوا بوجوب محاكمته أملا منهم فى أن يعترض الجيرنديون فيكون ذلك سبباً فى اثارة الرأى العام عليهم فاذا هم وافقوا على المحاكمة فلا مناص من أنهم يعارضون فى الحكم عليه بالاعدام وعند ذلك توجه اليهم تهمة التواطؤ والخيانة ولا مفر لهم من الخسارة على كل حال .

الفصل الثالث

إعدام الملك

كان الملك منذ وصل التامبل منقطعاً عن العالم الخارجى فلم يكن يسمح له أن يكاتب أحداً ولم يكن يسمح له بقراءة الصحف كما أسلفنا . وكذلك كانت الملكة . وقد دبرت فى الأيام الأولى لسجنهما عدة مشروعات للفرار ولكنها كانت كلها محاولات سخيفة مقضياً عليها بالفشل ولم تخلف أثراً الا تشديد الرقابة على الملك وزوجه فلم يعد يسمح لهما بحيازة الورق والأقلام . بل ولا السكين والمقص ومنعت الملكة من التطريز خشية أن تخفى فى غضونه رسالة رمزية تمكنها من التفاهم مع غيرهم خارج السجن . وكانت الأسرة تتناول فطورها فى الساعة التاسعة بغرفة الملك ثم ينتقلون الى غرفة الملكة حيث يأخذ الوالد فى تعليم ولده والأم فى تعليم ابنتها وفى الساعة الواحدة يخرجون قليلا للرياضة ثم يعودون للغداء فى الساعة الثانية و بعد العشاء يفترقون كل الى غرفته ثم يعودون للاجتماع فى اليوم التالى[1] .

(١) قضايا التاريخ الكبرى (الأستاذ عنان) .

وهكذا لبث الملك هو وأفراد أسرته فى هذه الدعة المظلمة وفى ذلك السكون المعتم بينما كانت تجرى المناقشات العاصفة فى دار المؤتمر حول محاكمته وهل هى جائزة قانوناً أو غير جائزة .

فبينما كان يدفع المدافعون عن الملك بحقه فى الحصانة التى قررها له دستور سنة ١٧٩١ وأن جريمة الخيانة ومحاربة الأمة يعاقب عليهما بالعزل وأن هذا العقاب واقع فعلا وأن الوزراء المسئولين يحجبون شخص الملك وأن المؤتمر لا يجوز له أن يوجه التهمة للملك ويحاكمه عليها والا كان خصما وحكما فى آن واحد . كان يرد عليهم أنصار المحاكمة بأن لويس لاحق له فى أن يحتمى بدستور سنة ١٧٩١ الذى لم يخلص له قط وأن الأمة هى التى قررت بالأمس عقوبة العزل وهى التى يحق لها اليوم أن تقرر عقوبة غيرها أقصى منها ما دامت هى مصدر كل قانون وأساس كل تشريع وأن الوزراء لا تجوز مسئوليتهم الا عن الظاهر من الأعمال اذ كيف يسألون عن أعمال سرية يجهلونها وقد تم تدبيرها من وراء حجاب ؟ أما اختصاص المؤتمر فى محاكمة الملك فلا يصح الاعتراض عليه اذ لو قبل هذا الاعتراض فمن ذا الذى يقوم بالمحاكمة وهل يمكن أن تحال القضية على دولة أخرى لتحكم فيها [1] .

(١) قضايا التاريخ الكبرى (الاستاذ عنان) .

وانتهت هذه المناقشات بقرار وضعته اللجنة التشريعية للمؤتمر وهو يقضى بوضع تقرير اتهام بالوقائع المنسوبة الى لويس وأن يمثل لويس بشخصه أمام المؤتمر ويمنح حق الاستعانة بالمحامين للدفاع عن نفسه .

وحمل اعلان الاتهام الى الملك فى ١١ ديسمبر فذهب من فوره الى قاعة المؤتمر وهناك تلى عليه تقرير الاتهام وكانت التهم الموجهة اليه أنه حنث فى اليمين التى أقسمها على احترام الدستور وأنه تخابر مع الاعداء برسائله وبأعوانه ورجاله وتآمر على سلامة الدولة ودعا الى غزو البلاد . وكان الملك يجيب عن هذه التهم واحدة واحدة تارة بانكارها وطوراً بنسبتها الى وزرائه وطوراً آخر باقرارها والاستناد فى تبريرها الى نصوص الدستور .

وكان بين الذين تولوا الدفاع عنه أمام المؤتمر (ديسيز) الذى خاطب المؤتمر بكلمته المشهورة « أبحث فيكم عن قضاة فلا أجد الا متهمين » ومالرب وزيره السابق الذى كان أطهر الناس ذمة فى وزارته وأخلصهم له وفاء بعد استقالته وتكلم الملك بنفسه فألقى خطاباً قصيراً ضمنه وجوه الدفاع التى رآها فى صالحه . ولكن نهض بعد ذلك (سانت جوست) الذى كان يشغل كرسى الاتهام وحمل على أقوال المدافعين وصور الملك فى صورة المستبد الماهر المتواضع

سانت چوست

الذى طغى بمهارة ثم دافع عن نفسه بأدب وتواضع[١] .

واقترح الجيرنديون بلسان فرنيو أن يستفتى الشعب فى الأمر فرفض الاقتراح ووصف بأنه نذالة سياسية ومدعاة للحرب الأهلية وتفريق الكلمة .

وفى ٧ يناير سنة ١٧٩٣ طرحت الاسئلة الآتية على المؤتمر لابداء رأيه فيها وهى :

(١) هل ارتكب (لويس كابيه) جناية التآمر على حرية الشعب وسلامة الدولة ؟

« فقرر المجلس بالاجماع ثبوت التهمة »

(٢) هل يطرح الحكم الذى يصدره المؤتمر على الشعب لاقـــراره ؟

« فرفض الطلب بأغلبية ٤٢٣ صوتاً ضد ٢٧١ »

(٣) ما هو العقاب الذى يوقع على لويس ؟

وهنا تضاربت الآراء فأفتى ٣٨٧ باعدام الملك وأفتى الباقون بعقوبات أخرى بين السجن والنفى والاعدام مع ايقاف التنفيذ . ولا ريب فى أن الخطة التى قررها اليعاقبة لاخذ الاصوات هى التى

(١) قضايا التاريخ الكبرى (الاستاذ عنان) .

كانت سبباً فى هذا الحكم فقد نصبت منصة عالية كان ينتقل اليها كل عضو بدوره ليعطى صوته من فوقها جهاراً على مسمع من كل الحاضرين . وكان الغوغاء على صلة بما يجرى فى القاعة فكان الاعضاء يقررون الاعدام تحت تأثير هذا الارهاب . حتى أن فرنيو الذى كان يقول باستحالة اعدام الملك لم يتمالك وهو على المنصة الا أن يعطى صوته باعدامه . وعلى الرغم من كل ذلك فقد صدر الحكم بناء على تلك الأغلبية الضئيلة التى لم تتجاوز الخمسين الا بقليل .

وكان الملك فى غرفته ينتظر الحكم حين دخل عليه مالرب والدموع تملأ عينيه فألفاه جالساً فى الظلام وقد اعتمد بمرفقيه على مائدة أمامه وأخفى وجهه بين يديه فلما أحس بزائره رفع رأسه اليه وقال : « لقد قضيت ساعتين أفكر فيما لو كنت أتيت أثناء حكمى ما أستحق عليه أدنى لوم من رعيتى ولكنى أقسم وأنا فى طريقى الى الله أنى ما آليت جهداً فى تحقيق سعادة الشعب طول حياتى! »[1]

وطلب الملك أن يمهل ثلاثة أيام يستعد فيها للقاء ربه — وأن يسمح للملكة وأولادها بمغادرة فرنسا — وأن يسمح له برؤية

---

(١) Fr. Rev. (Mignet)

أسرته قبل الموت — وأن يبارك قسيس يختاره لنفسه — فرفض الطلبان الاولان وسمح له بالاخيرين .

وفى الساعة الثامنة والنصف من مساء ٢٠ يونيه سمح لأسرة الملك بمقابلته فارتمت الملكة على قدمى زوجها وأغمى على ابنته بين ذراعيه وجعل ولى العهد يصرخ صراخاً يمزق القلب واستمر ذلك المنظر المؤلم زهاء ساعتين ساد فيهما العويل والنحيب والأنين

ثم عاد الملك الى قسيسه ولبث معه حتى منتصف الليل ثم نام نوماً عميقاً بعد أن أوصى خادمه أن يوقظه قبل الساعة الخامسة فى الصباح .

وفى فجر اليوم التالى نهض الملك وطلب إليه قسيسه أن يكفى نفسه وأسرته ألم الاجتماع بها من جديد فأجابه الى طلبه . ثم حانت الساعة وركب الملك عربة الاعدام الى (ميدان الثورة) حيث نصبت الجيلوتين فى فراغه الشاسع وأقيمت حوله المدافع وأحاطت بها فرقة كبيرة من الجنود .

وصل موكب الملك الى تلك الساحة فى الساعة العاشرة صباحاً فنزل من العربة وصعد سلم المقصلة بقدم ثابتة وأحنى رأسه ليبارك القسيس فوضع عليه يده قائلا « اصعد يا ابن القديس لويس الى السماء ! » ثم حاول الملك بعد ذلك أن يخاطب الناس فمشى الى

لويس التاسع عشر يصعد الى الجيلوتين

جانب النطع وقال « انى برىء وأسأل الله أن لا تقع التبعة فى دمى على رأس فرنسا . . . . » ولكن ضاعت بقية كلامه وسط قرع الطبول واقتاده الجلادون الى حد السكين .

وفى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة رفع الجلاد الرأس المقطوع للجماهير فهتفوا بصوت واحد . « فلتحى الجمهورية »

* * *

والآن ماذا يقول المؤرخ المنصف تعقيباً على هذا الوصف المحزن وتعليقاً على هذا الحادث الأليم ؟

لقد كان لويس طيب القلب محباً للاصلاح . ولقد ورث الثورة ولا شك عن أجداده وأسلافه . وكان خيراً منهم جميعاً فى القيام بالواجب نحو الشعب وكان لا يعدل خوفه من الله الا حبه لرعيته . ولكن هل يدعونا ذلك الى أن ننسى أنه لم يكن الا فرداً من أبناء فرنسا جعلته التقاليد ملكا عليها وأن ألوفاً من هؤلاء الفرنسيين المستعبدين التعساء كانوا يجاهدون فى سبيل الحرية ويشقون فى جهادهم لتنسم ريحها وأنهم بينما كانوا يضحون بأرواحهم وأرواح أبنائهم وهناء أزواجهم فى هذا السبيل كان الملك يستسلم بضعفه للجبابرة الذين أحاطوا به ليستعين بأعداء الثورة على اخماد أنفاسها ؟ هل يحق لنا أن ننسى أن شخصاً آخر أهم فى حياة العالم

من شخص لويس هـذا وهو شخص المجتمع الفرنسى كانت تتهدده جيوش الغزاة فى الخارج بينما يتآمر أنصار هـذا الملك عليه فى الداخل ؟

ان الانسان ليفكر فى مصير هـذا الملك التعس فلا يتمالك أن يحزن عليه و يتوجع لما أصابه . ولـكنه لا يلبث أن يرسل من صدره زفرة طويلة يردد فيها قول الملك نفسه :

« اللهم اجعل دمه البرىء فداء لفرنسا »

الفصل الرابع

التحالف الدولى الأوّلى

انتصرت جيوش الثورة فى ألمانيا وباچيكا وأصبحت تهدد هولندا وما وراءها . وشجعها هذا النصر على اصدار قرار ١٩ نوفمبر الذى يعتبر بمثابة تحريض على الثورة وشق عصا الطاعة على الملوك فى كل مكان . وانضمت بالفعل باچيكا وساڤوا (Savoy) الى فرنسا وهلعت الدول لدى رؤية هذا الفوز المبين وتلك الغنائم العظيمة ورأت انجلترا أن التزامها الحيدة سيكون قضاء على التوازن الدولى فى أوروبا فنشطت لوقف فرنسا عند حدها واستفزها الى ذلك ما بلغها أخيرا عن مقتل الملك وشجعها على دخول الحرب ما عرفته من سخط أوروبا جميعها على الثورة بعد هذا الحادث المشئوم — وعصيان بعض الولايات الفرنسية نفسها مثل (برتنى ولافنده) ونفورها من زعماء الثورة عقب قيامهم بهذا العمل الممقوت وانشقاقها على باريس ومن فيها وخروجها على الحكومة المحلية — فعمل (پت) وزير انجلترا على تأليف اتحاد دولى لمقاومة الثورة والقضاء عليها . فأجاب دعوته ملك اسبانيا

وهولندا وانضمت اليهم النمسا وبروسيا وسارت جيوشهم المتحالفة لغزو فرنسا من جهات ثلاث .

فانهزمت كتائب كاستين أمام جيوش الغزاة وانسلخ من فرنسا كل ما انضم اليها فى حربها السابقة الا مدينة ما ينز فانها بقيت بأيديهم زمانا . أما ديموريه فرده النمساويون فى نيروندن (١٨ مارس سنة ١٧٩٣) فوقف عن القتال وفكر فى إرجاع الملكية ولكن جنوده لم توافقه على هذا الرأى . وكان لانخذاله وفراره أكبر أثر فى ايقاظ احقاد الجبليين على منافسيهم الجيرنديين . وجاءت هذه المغامرة من جانبه ضربة قاضية على حزبه . فان اليعقوبيين لم يتركوا الفرصة تفلت من أيديهم وقاموا يرمون الحزب بداء زعيمه . ووجهوا الى كافة أعضائه تهمة الخيانة وأحاطوا بقاعة المؤتمر وطلبوا إلقاء القبض على رؤساء الجيرنديين فطرح فى السجن من زعمائهم نحو ٢٢ ولكن لم يلبث هؤلاء أن أفلت بعضهم وانتشروا فى أنحاء فرنسا حاملين ألوية الخروج على رجال الثورة . فطاردتهم الحكومة وأهدرت دمهم غير أنهم تمكنوا من اثارة الفتنة وأفلحوا فى ازعاج غرمائهم واشتعلت بذلك فى أنحاء البلاد نار الحرب الأهلية وقامت مرسيليا وطولون وبردو وليون فى وجه الجبليين وأعلن أهلها خروجهم على طاعة الحكومة القائمة فى باريس .

الفصل الخامس

مقتـــل مارا

فى شهر يناير سنة ١٧٩٣ قتل الملك .

وفى شهر فبراير سنة ١٧٩٣ تألف التحالف الدولى ضد فرنسا .

وفى شهر مارس — انهزمت الجيوش الفرنسية تحت ضغط الحلفاء وارتد أمامهم ديموريه ثم ظهرت خيانة هذا القائد وتبين أنه كان يعمل على قتل الثورة وتولية ملك على فرنسا من سلالة أورليان . فكان ذلك سببا فى هياج الجبليين الذين قرروا نفى دوق أورليان وجميع من بقى من أسرة بوربون وأعادوا « محكمة الثورة » ليستعينوا بها على التخلص من أعداء الثورة .

وفى شهر أبريل — تألفت لجنة الأمن العام من ٩ أعضاء يتجدد انتخابهم كل شهر . وخولت هذه اللجنة سلطة دكتاتورية مطلقة لتتولى كيفما تشاء أمر المحافظة على السلام فى الداخل ودفع خطر الحلفاء فى الخارج .

وفى شهر مايو — ائتمر اليعاقبة بالجيرندين لأخذهم بجريرة زعيمهم الخائن ديموريه رغبة منهم فى القضاء عليهم .

وفى ٢ يونيه سنة ١٧٩٣ — أحاط نحو ٨٠ ألف من غوغاء باريس بقصر التويلرى حيث كان يجتمع المؤتمر وطلبوا القبض على زعماء الجيرنديين . فقدم مارا (رئيس نادى اليعاقبة) كشفا بأسماء ٢٢ زعيما منهم فألقى القبض عليهم . وطرحوا جميعا فى السجن .

وفى نفس الشهر تمكن كثير من الجيرنديين المسجونين من ترك سجونهم وانتشروا فى أنحاء فرنسا كما أسلفنا يلقون بذور الفتنة فى كل مكان . ويثيرون الرأى العام فى الأقاليم على الفظائع التى كان يرتكبها مارا وأمثاله فى باريس فثارت بوردو ومقاطعة الجيروند بأكملها ثم ثارت مرسيليا وليون ثم قامت تولون فجاهرت بعصيانها لحكومة باريس وزادت على ذلك أن أقامت لنفسها حكومة محلية وأعلنت ولد لويس السادس عشر (سجين التامبل) باسم لويس السابع عشر ملكا عليها . وأقبلت أساطيل الحلفاء لحمايتها وامدادها عن طريق البحر بما تحتاج اليه من غذاء وسلاح .

هذه خلاصة تاريخية متسلسلة للحوادث التى أشرنا اليها فى الفصول السابقة رأينا أن نوردها هنا على هذه الصورة لتكون بين يدى القارىء ضابطا لتلك الحوادث وتعاقبها . ونضيف اليها الآن أنه :

فى يوم ٩ يوليه سنة ١٧٩٣ — غادرت (شارلوت كورداى) قريتها فوصلت باريس فى ١١ يوليه وتمكنت من الدخول على (مارا) بعد ذلك بيومين آخرين . فأخذت معه فى الحديث قليلا ثم استلت من تحت ثيابها سكينا طعنته بها فى صدره طعنة أردته قتيـــلا .

فليحفظ التاريخ لهـذه الفتاة الجريئة أنها هدمت أصلب اركان الثورة وأنها صاحبة الطعنة الأولى فى قلب الارهاب والقائمين به ولتسجل لها الانسانيـة شكرها اعترافا بتضحيتها الخالدة ونزولا على إرادتها فى ندائها الشهير الذى كتبته قبل فعلتها بأيام وهى تقول فيه :

« أى وطنى ! إن مصائبك تمزق قلبى ! وليس فى وسعى أن أهبك سوى حياتى وانى أحمد الله الذى وهبنى حرية التصرف فيها . أريد أن يكون من زفرتى الأخيرة خير لأبناء الوطن وأن يكون رأسى المحمول فوق رمح فى طرقات باريس علم الاتحاد لكل أنصار القانون وأن يرى اليعاقبة المخذولون حتفهم مكتوباً بدمى . وأن أكون آخر فرائسهم . وأن يعلن العالم الذى انتقمت له أننى خليقة بشكر الانسانية ! » .

شرلوت کوردای

الفصل السادس

شارلوت كورداى

أما شارلوت كورداى هذه فكانت فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها يغنينا إثبات صورتها عن الافاضة فى وصف جمالها . نشأت فى دير مدينة (كاين) من أعمال برتنى (Brittany) فى غرب فرنسا وبقيت فيه حتى قررت الجمعية التشريعية إغلاق الأديرة فعادت الى قريتها . ولكنها استمرت كما كانت فى الدير مكبة على المطالعة ودراسة النظريات الحديثة التى كانت لها السيادة فى ذلك العصر . وبقيت تتتبع حوادث الثورة بغاية الاهتمام والحماسة . وكانت منذ نشأتها جمهورية النزعة تمجد حكومة الجيرندديين وتتحمس لها وتعجب برجالها . فلما تقدم اليعاقبة الى الميدان وتسببوا فى اعدام الملك امتلأت نفسها سخطا عليهم واشمئزازا منهم وازداد اعجابها بكياسة الجيرندديين واعتدالهم . ولكنها ما لبثت أن رأت أيدى اليعاقبة التى لوثها دم الملك تمتد الى أعناق الجيرندديين أنفسهم فزادت كراهتها لهم واشتد مقتها لزعمائهم وأخصهم مارا شيطان الثورة وجلادها وبطل مذابحها فكانت تحقد عليه وتكرهه بقدر

ما كانت تعجب بزعماء الجيرنديين وتحبهم وأخيراً وفد جماعة من نواب الجيرنديين الذين فروا من السجن إلى مدينة كاين . فذهبت شارلوت إليهم مسوقة بعامل الاعجاب والاكبار وحب التقرب منهم والتعارف بهم وهناك سمعت أحاديثهم عن مارا ووحشيته وتعطشه للدماء وأنه صرح أخيراً بأن عدد الرؤوس التى يرى وجوب قطعها ليستتب السلام فى فرنسا ينبغى أن لا يقل عن مائتين وستين ألفاً فهالها ما سمعت وارتاعت نفسها لهذا الخبر والتهب صدرها بغضاً لذلك الطاغية السفاح وعقدت نيتها على أن تفتدى برأسها الجميل تلك الآلاف الكثيرة من الرءوس البريئة التى كان يريد قطعها مارا !

وحدث يوما أن وقف (باربارو) أحد أولئك الزعماء الفارين يخطب فشرح الحالة السيئة التى أصبحت عليها فرنسا ثم اندفع فى حماسته وقال « إنه اذا لم تظهر چان دارك جديدة واذا لم ترسل السماء نجدة سماوية واذا لم تحدث معجزة خارقة فعلى فرنسا السلام[1] » !

فوقعت هذه الكلمات فى نفس تلك الفتاة الطاهرة موقع السهم وشعرت أنها مقصودة بهذا النداء وأن العناية ساقت اليها

(١) قضايا التاريخ للاستاذ عنان

ذلك الخطيب لينبهها الى الواجب الذى خلقت له . وكانت بعد ذلك تقضى كل وقتها فى التأمل والتفكير وتدبير ما يلزم للقيام بذلك العمل الخطير الذى ندبت له . وأخيراً قر قرارها فأجمعت أمرها واعتزمت الرحيل .

وفى عصر يوم الثلاثاء ٩ يوليه سنة ١٧٩٣ استقلت شارلوت كورداى عربة البريد الى باريس فانتحت ناحية فيها ولم تشترك مع المسافرين فى أحاديثهم لانهم كانوا ينظمون قلائد المدح للجبليين . وسارت بها العربة ليلة الأربعاء وطول يوم الأربعاء وفى ضحى يوم الخميس دخلت بها مدينة باريس الواسعة المزدحمة فنزلت الفتاة الى خان هناك حيث استأجرت غرفة وألقت بنفسها فى فراشها فنامت بقية اليوم واسترسلت فى نومها طول الليل ثم استيقظت فى صباح الجمعة فزارت قاعة المؤتمر ورأت فيها حزب الجبل كيف يكون ولكنها لم تر وجه مارا لأنه كان فى داره مريضاً لا يقوى على الخروج .

وفى الساعة الثامنة من صباح السبت خرجت من خانها فابتاعت نصلا طويلا ثم استأجرت عربة وأمرت سائقها أن يذهب بها الى شارع مدرسة الطب نمرة ٤٤ حيث كان يقيم غريمها الذى أقبلت تسعى اليه من غرب فرنسا الى شرقها .

ولكن مارا لم يكن يقابل أحداً فارتدت الفتاة على أعقابها وأرسلت اليه من خانها الرقعة الآتية :

« لقد جئت من كاين مقر العصيان وأرغب فى رؤيتك فوراً لأمكنك من القيام بخدمة عظيمة لفرنسا »

ولبثت تنتظر الرد ولكن ذهب انتظارها سدى فاعتزمت أن تذهب بنفسهااليه مرة أخرى

أما مارا فكان مريضاً حقاً . وكان محموماً يعانى أقسى الآلام. فأى مرض ترى ذلك الذى يقعد بهذا المارد المتوحش وأى عاهة تلك التى تناسب روحه الجبارة ؟ انه كان يشكو أكلة حادة فى جلده لعلها هى التى كانت تهيج أعصابه وتثير احساسه وتكسبه تلك الضراوة التى امتازت بها قسوته وشدته . ويعزى اليه أن أعداء له كانوا يطاردونه ويطلبون دمه ففر منهم والتمس الخلاص لنفسه بالاختفاء عن ابصارهم فاحتمى فى مجرى من مجارى القاذورات فتأكل فيه جلده . وخرج منه بعد ذلك وهو يقول لا مساس ! وظل بقية عمره يقضى أكثر وقته فى حوض مملوء بالماء ليخفف بعض آلامه وكانت له على صفحة الماء لوحة من الخشب قدجعل فيها ورقا يلوث أديمه بأفكاره وخواطره . ويخط فوقه أسماء من يريد أن يقذف بهم تحت سكين الجيلوتين .

وخرجت شارلوت من خانها تقصد داره من جديد . وكان ذلك فى الساعة السابعة من مساء ١٣ يوليه أعنى فى ليلة عيد الحرية الذى تضطرب له باريس وتموج والذى وقف فى مثله مارا منذ أربع سنوات أمام الباستيل يصيح بحاميته أن تنزل اليه وتسلمه سلاحها .

قرع الباب وسمع مارا وهو فى حوضه صوتا رقيقا يعارض صوت سيمون افرار (وهى المرأة التى كانت تعاشره) اذ يقول الصوت : « لا بد لى أن أراه ! » فتقول سيمون محتدة : « ولكنه لا يرى أحدا ! » وعرف الرجل أن الزائر لا بد أن يكون تلك الفتاة التى تريد أن تقدم لفرنسا خدمة عظيمة . فأذن لها فدخلت ودار بينهما الحديث التالى :

— إننى من كاين وأريد التحدث اليك ؟

— اجلسى يا بنيتى . ماذا يفعل الخونة فى كاين ؟ ومن هم النواب الذين هناك ؟

— باربارو . . . بيتيون . . .

— سوف لا تبقى رءوسهم فوق أكتافهم بعد ١٥ يوما ! . . . بيتيون . . . ولوفيه Louvet . . . ؟ ومن أيضا . . . ؟

غير أن الفتاة كانت قد انتهزت هذه الفرصة التى أكب صاحبنا فيها على لوحته يكتب أسماء فرائسه فاستلت نصلها من تحت ثيابها

وأغمدته فى صدره العارى بكل قوتها فصاح الطاغية :

« الى يا عزيزتى ! ... الى ! » .

ولكن لم تكن تجدى النجدة بعد تلك الطعنة النجلاء . فان رأسه الدميم المتهالك مال الى الوراء وأسلم السفاح روحه الآثمة غير مأسوف عليه

وملأت سيمون الدنيا بصراخها وغص المكان بالوافدين وحاول بعضهم أن يصل الى شارلوت ولكنها قلبت بعض الأثاث الذى بالغرفة وتحصنت خلفه حتى أقبل البوليس فأسلمت نفسها اليه بكل هدوء .

ولم تكن تشك الفتاة قط فى مصيرها فكانت مثال الثبات فى قاعة المحاكمة كما كانت مثال الشجاعة على نطع الجلاد . ولقد تقدم أحد زبانية المقصلة يقيد رجليها فامتنعت باباء ظنا منها أن فى هذا العمل اهانة لها فلما أفهمت أن تلك احدى (تقاليد) الجيلوتين اعتذرت فى رقة وخفر . ولما امتدت يد الجلاد لينزع المنديل الذى كان حول جيدها علت وجهها ونحرها حمرة الخجل وكانت لا تزال صفحة خدها مشرقة بهذا اللون الوردى عند مارفع الجلاد رأسها المقطوع حسب عادته ليريه للناس !

ويقول بعض الحاضرين أن النذل قد صفعه . ولكن الراوى يقول أيضاً أنه عوقب على ذلك بالسجن[1] !

(١) قضايا التاريخ الكبرى للاستاذ عنان وتاريخ الثورة لكارليل

شارلوت کوردای

الفصل السابع

لجنة الامن العام وروبسبير

كان فرار دمورييه الى الأعداء سببا فى نكبة الجيرندبين . وكانت نكبة الجيرندبين هذه سببا فى قتل مارا وفى تفرد الجبليين بالحكم واختبال شئون الادارة وانتشار الفتنة فى أنحاء البلاد .

وتغيرت خطة الدول المتحالفة بعد مابدا لهم من انقسام فرنسا وقيام بعض جهاتها على بعض فبعد ان كانت نيتهم مقاومة الثورة ومحاربة القائمين بها اتجهت أنظارهم الى تقسيم فرنسا وتوزيع أسلابها بين أنفسهم . فاستولى الانجليز والنمساويون على كونده وفالنسين واستعاد البروسيون ما أخذه منهم كاستين وانتصرت جيوش اسبانيا على الفرنسيين فى جبال البرانس . وزادت انجلترا هذا الطين بلة بأن أعلنت الحصر البحرى على جميع الموانى الفرنسية.

فلم ير الجبليون ازاء هذه الرزايا إلا أن يعلنوا من جديد أن

«الوطن فى خطر» وأن لا سبيل لخلاصه إلا تركيز السلطة فى يد هيئة صغيرة تخول سلطة واسعة مطلقة لدفع هذا الخطر عن البلاد. وكان أعضاء لجنة الأمن العام يعاد انتخابهم بعينهم كل شهر منذ تألفت تلك الهيئة فى شهر أبريل. فلما جاء دور تجديدها للمرة الثالثة فى يونيه سنة ١٧٩٣ استبدل ببعض أعضائها غيرهم. وتولت الهيئة الجديدة حكم فرنسا لغاية يوليه سنة ١٧٩٤ ويعرف عهدها فى تاريخ فرنسا باسم « عهد الارهاب » . لأن اللجنة لم تتعفف فى سبيل الوصول الى غاية من غاياتها عن سلوك أشد السبل قسوة وأكثرها وحشية واستكثرت من القوانين الاستثنائية التى تمكنها من ارهاب أعداء الجمهورية والتنكيل بهم وجعلهم عبرة لغيرهم حتى لا تزيغ بعد ذلك نفس أو يحيد عن الوفاء للجمهورية قلب.

وتألفت هذه اللجنة من كوتون أحد أصدقاء روبسبير وسان جوست أوفى أصفيائه وستة آخرين كان سابعهم روبسبير نفسه. وعلى الرغم من أن روبسبير هذا فى تلك الفترة (يوليه سنة ١٧٩٣) لم يكن قد بقى له غير سنة واحدة يحياها فى هذا العالم فانه كان لا يزال بين زعماء الثورة الكثيرين فردا من الأفراد العاديين لم يرتفع بعد الى تلك المنزلة الفذة التى بلغها قبل مقتله

بيضعة شهور والتى تنخسف ازاء سطوعها منازل غيره من زعماء الثورة اجمعين .

والسبب فى بلوغ روبسبير هذه المنزلة راجع الى أنه بدأ حياته زعيما من زعماء المتطرفين فى الجمعية الوطنية الأولى أيام كانت تضم الجمعية بين أعضائها زعماء الأحزاب المختلفة من ملكيين رجعيين ودستوريين معتدلين . ويعاقبه متطرفين . فلما انحلت الجمعية الوطنية وجاءت الجمعية التشريعية ضعف فيها حزب الملكيين وعظم بها شأن الحزبين الآخرين . ثم لما انحلت الجمعية التشريعية وجاء المؤتمر الوطنى ضعف حزب المعتدلين . وازداد حزب اليعاقبة قوة على قوته . ثم تطورت الامور وأسفرت عملية التصفية مرة أخرى عن اندثار الجيرندين كما اندثر غيرهم وأصبح الامر للجنة الأمن العام فاذا روبسبير عضو فيها كما كان عضوا فى كثير ممن سبقها من الهيئات والى هذه الحقيقة يرجع السر فى تفرد هذا الزعيم بتلك المنزلة التى تحدثنا عنها فيما سلف إذ بينما كانت الأحزاب الأخرى يتقلص نفوذها شيئا فشيئا وتختفى وراء الافق رويدا رويدا كان حزب اليعاقبة الذى ينتمى اليه روبسبير يزداد رسوخا وقوة ويشتد ساعده صلابة وفتوة . وبينما كان زعماء الأحزاب الأخرى يتألق نجمهم فى سماء السياسة ساعة ثم يغرب كان نجم هذا الزعيم ثابتا

راسخا لا تزيده الحوادث الا بريقا وقوة وثبوتا. وعلى هذا الأساس الرصين الذى ظل روبسبير يدعمه أربع سنوات متتالية كان من الممكن أن تقام فى سنة واحدة تلك الشهرة الشاهقة التى لا تزال الى اليوم فى فم الناس والتاريخ.

obeikandl.com

الفصل الثامن

اعمال لجنـــة الامن العام

امتازت لجنـة الأمن العام منذ توليها تلك السلطة المطلقة بالبساطة التامة فى تصرفاتها والبعد عن أى تعقيد . فاذا عرض لها مثلا من تشتبه فى أمره . فاقامة الدعوى عليه فى نظرها تعقيد وسماع الشهود فى شأنه تعقيد ومحاكمته واصدار حكم له أو عليه بحيثيات طويلة تعقيد فوق تعقيد . أما خطتها البسيطة التى كانت تجرى عليها فى مثل هذه الظروف فهى أن توجه تهمة (الاشتباه) الى المتهم ثم تحكم عليه بناء على ذلك بالاعدام . فتقطع رأسه الجيلوتين وتفرغ اللجنة من أمره لتنصرف الى ما بين يديها من الأعمال . أولم تتجاوب الدعوة فى أنحاء البلاد : ان الوطن فى خطر ! ؟

وكان أول ما اتجهت اليه همة اللجنة ان شرعت فى تدبير المال اللازم لها فى تنفيذ مشروعاتها ومطاردة أعدائها . فملأت خزانتها بتقرير ضريبة الزامية على الأغنياء . فكان كل من تراوحت ثروته

بين ألف فرنك وعشرة آلاف فرنك يدفع عنها للخزانة العامة ١٠ ٪ أما ما يزيد عن العشرة آلاف فرنك فكانت تأخذه اللجنة بأكمله لمدة عام .

ثم انصرفت الى التجنيد فاتبعت فيه أيضاً نفس البساطة . وقررت تعبئة الأمة الفرنسية بأسرها تعبئة عامة « فأما الشبان فيذهبون الى ميدان القتال . وأما الأزواج فيبقون فى المصانع لاعداد الذخيرة وصنع السلاح . وأما الزوجات فيفرغن للخيام ونصبها والجرحى وتطبيبهم وتهيئة الطعام واللباس وأما الصبية فيشتغلون بتحويل الخرق والمزق الى أربطة لتضميد الجروح . وأما الشيوخ فيستقرون فى الأسواق لانهاض الهمم وتغذية النفوس بالغيرة والحماسة »[1] .

تلك كانت عدة اللجنة لدفع الخطر الخارجى . أما ما أعدته لدفع ما كان يتهددها من الخطر الداخلى فكان قانون الاتهام الذى شرحت لك بساطته فى مستهل الفصل ولقد رأت اللجنة أن تأمن جانب الغلاء والمجاعات فحددت أسعار الحاجيات . ثم قررت اعتبار كل تاجر يتخلى عن عمله (مشبوها) ينطبق عليه (قانون الاتهام) . كما

---

(١) Modern Europe (Lodge.)

أنها جعلت عقوبة من يخزن بضاعته الاعدام . وهكذا أراحت هذه اللجنة نفسها من حيث تعب الفلاسفة والمشرعون .

ولعلك لا تعجب اذا عرفت بعد ذلك أن هذه الخطط الحكيمة قد أثمرت ثمرا طيبا اذ لم ينقض شهر يوليه حتى كان ثوار الشمال قد خضعوا لجيش اللجنة الداخلى وتبع أهل الشمال عصاة المغرب سكان بوردو فانهم أخلدوا كذلك الى السكينة والهدوء ثم دخل فى طاعة اللجنة أهل مرسيليا . أما ليون فانها استعصت قليلا فدام حصارها من أغسطس لأكتوبر وانتقمت اللجنة منها على قيامها فى وجهها واقلاق بالها كل هذه المدة الطويلة بأن سلطت عليها المدافع ودمرتها تدميرا . وأقامت على أنقاضها نصبا نقشت عليه آية من آيات حكمتها البالغة وهى :

« ليون حاربت الحرية ، فمحيت من الوجود بالكلية » .

و بلغ من عناية اللجنة بأمر هذه المدينة ان انتدبت عضوا من أعضائها ليذهب اليها و يشرف بنفسه على هدم البلد وقتل أهلها فكان يحصد رؤوسهم حصدا و يلقى بأجسامهم فى نهر الرون قائلا «دعوا الجثث تسبح حتى تبلغ طولون لتنذر أهلها بما سينالون» !

وفى الحق أن تولون كانت آخر مدينة من المدن التى بقيت خارجة على الثورة فى جنوب فرنسا وما كانت لترجع الى حظيرتها

مرة أخرى بعد معاونة الانجليز لها لولا أن رمتها الحكومة بضابط مدفعى كورسيكى صغير نابغة أحكم حصارها فسلمت له صاغرة ولم تغن عنها معاونة الانجليز شيئا . وكان اسم ذلك الضابط الصغير نابليون بونابرت !

وبقيت لافنده وحدها فى كل فرنسا بعد تولون تحمل لواء العصيان على الثورة وتأبى أن تخضع لحكومة باريس فلم تر اللجنة بدا من ابادة أهلها والتخلص منهم مرة واحدة ما دامت لا تجد وسيلة أخرى تأمن بها جانبهم .

أما فى دفع الخطر الخارجى فان اللجنة لم تكن أقل توفيقا . والفضل فى تسيير الحرب على الحلفاء بهذا النجاح الباهر الذى أحرزه الفرنسيون انما يرجع الى (كارنو) أحد أعضاء لجنة الأمن العام وكانت الجيوش الفرنسية قبله على ما وصفناها عند ما أطلت عليهم جيوش النمساويين سنة ١٧٩٢ فلما وكل أمرها اليه أخذ فى تنظيمهم وتدريب ضباطهم وتخير قوادهم وكانت أقل هفوة تبدر من أحد الضباط تكفى (للاشتباه) فى أمره حيث لاجزاء أقل من الاعدام . فسار (جوردان) أحد القواد الأحداث الى النمساويين ففرق شملهم فى (Wattignes) واتينى (فى أكتوبر سنة ١٧٩٣) ودخل (يشيجرو) أحد زملائه حصون أنفرس عنوة

كارنو

فى يوليه سنة ١٧٩٣ وتم استيلاؤه على هولندة فى ديسمبر من نفس السنة . ولم ينقض عام ١٧٩٤ حتى كانت فرنسا صاحبة السيادة فى البلچيك وهولندا و نيس وساقوا وشاطىء الرين الغربى وهى الحدود التى كان يحلم بها لويس الرابع عشر ولا يستطيع تحقيقها .

وكانت بروسيا قد انسحبت جيوشها الى بولندة (سنة ١٧٩٣) فاصطلحت بمقتضى معاهدة (بال) Basle مع فرنسا فى أبريل سنة ١٧٩٥ وكذلك فعلت اسبانيا فلم يبق من التحالف الدولى غير انجلترا والنمسا

الفصل التاسع

عهد الارهاب

عرفت فى الفصل السابق نفور لجنة الأمن العام من التعقيد فى تصرفاتها وعرفت أنها شرعت قانونا خاصا لتسهيل أعمالها باسم « قانون الاتهام » كان يعاقب على مجرد الاشتباه والشك . وكان لا بد لمثل هذا القانون من محكمة بسيطة على شاكلته لتقوم بتطبيقه فألقى هذا العبء على عاتق « المحكمة الثورية » فقامت به خير قيام . وكان نظام العمل فيها أن يقدم اليها المشتبه فى أمره فتتبادل معه كلمة أو كلمتين توجه فيهما التهمة اليه فينكرها عادة وقلما كانت تسمع عنه دفاعا ثم تحكم عليه بالاعدام . وعند ذلك يأتى دور « الجيلوتين » .

تلك كانت أدوات الارهاب التى بدأت عملها المشئوم منذ وليت لجنة الأمن العام حكم فرنسا .

وكانت الملكة لاتزال مع ولديها فى سجن التامبل . على أن هذه النعمة لم تدم عليها طويلا . فصدر قرار اللجنة فى يوليه «بأن

ماری انتوانت فی السجن

يفصل ولد كابيه عن أمه » . وحاولت الملكة عبثا أن تدفع رجال البلدية عن سرير ولدها النائم وهى تصيح . « اقتلونى أولا » ولكن يد القوة انتزعته منها غصبا ودفعت به الى إسكاف اسمه (سيمون) كان فى خدمة (التامبل) فى ذلك الوقت ليشب بين يديه على مبادىء الثورة . وفى وسعك أن تقدر مبلغ الانقلاب الذى وقع لهذا الصبى المسكين اذا عرفت أن سيمون هذا الذى كان يرعاه نقل من خدمته الى عمل آخر فظل الغلام طريحاً فى حجرته ستة شهور لم يتغير فيها قميصه وهو الذى رضيت أمه بعد الجهد فى أيام اقبالها أن تتبع طرق الاقتصاد فى نفقاتها فخفضت حاشية أخته الصغيرة الى ٨٠ خادمة بشق الأنفس .

ثم نقلت الملكة بعد ذلك الى سجن (الكونسيرجرى) تمهيدا لمحاكمتها وحسبك أن تعلم كذلك أنه لم يسمح لتلك التعسة فى مسكنها الجديد بغير ثوبين باليين متمزقين : أحدهما أسود ، والآخر أبيض لتعرف الى أية هوة نزلت مارى أنتوانت التى كان نساء فرنسا المتبرجات يحسدن كلابها على ما تخلعه عليها من الحلى والثياب الفاخرة !

وكان خليقا بمن أدبرت عنه الدنيا هذا الادبار أن يثير الرحمة فى نفوس من حوله . ولكن هذه التعسة لم تكن تصيب ممن

ولى العهد

حولها الا الزراية والامتهان ووجدت الصحافة الباريسية فى شخصيتها مرعى خصبا دسما تستمد منه الوسيلة للذيوع والرواج بما تفتن فيه كل يوم من ضروب التشهير بها والقذف فى حقها .

وكان زعماء الثورة كذلك لا يبرحون يندون بها فى خطاباتهم ويثيرون الرأى العام عليها ويدعون الى المطالبة بمحاكمتها حتى قرر المؤتمر أخيراً احالتها الى محكمة ثورية خاصة لتمثيل تلك المهزلة القضائية التى اعتادوا تمثيلها مع كل من اعتزموا اختطاف روحه والخلاص من وجوده

وفى الساعة الثامنة من صباح ١٥ أكتوبر سنة ١٧٩٣ بدأت هذه المحاكمة ودامت طول اليوم وبدأ الدفاع مرافعته فى منتصف ليلة ١٦ أكتوبر . وفى الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم بعد جلسة دامت عشرين ساعه متوالية صدر حكم المحكمة بادانة الملكة واعدامها (١).

* * *

وسيقت بعد ذلك الى ساحة الاعدام بعد أن شد وثاقها وجز شعرها حسبما جرت به العادة مع من يحكم عليها بالاعدام . وكانت الجموع الحافلة الصاخبة تتلقاها على طول الطريق هاتفة : « لتحى الجمهورية » و « ليسقط الظلم » .

(١) قضايا التاريخ الكبرى (للاستاذ عنان)

مارى انطوانيت تساق الى المقصلة

وفى ظهر ذلك اليوم كانت جثة الملكة ملقاة فى العراء حيث بقيت نحو أسبوعين لا تجد من يعنى باحتفار حفرة لها فى أرض فرنسا التى عاشت على ظهرها غريبة وأبى الثوار بعد موتها الا أن تظل غريبة عن بطنها كذلك !

وهكذا انتهت تلك الحياة المزدحمة بالكبرياء والطيش ، الحافلة بالمحن والآلام . والى هذه الخاتمة المرة الذابلة انتهت تلك البداية الحلوة الناضرة .

* * *

وكانت التهمة التى وجهت للملكة وحكم عليها بالاعدام من أجلها هى تهمة (التآمر) . وكان يدخل فى معنى (التآمر) عند الثائرين أن ينتسب الانسان الى الأسرة المالكة . فكانت اليزابت (متآمرة) لأنها أخت الملك . وسيقت لذلك الى آلة الاعدام . وكان دوق أورليان نفسه — المواطن مساواة — الذى نشأت الثورة فى حجره ودرجت فى حديقة قصره (متآمرا) كذلك وكان جزاؤه على هذا التآمر الاعدام .

ثم اتسع معنى (التآمر) فأصبح يتناول فوق أعضاء الأسرة المالكة كل من كانت له صلة بالأسرة المالكة . فاعتبر (ماليرب) (متآمرا) وأعدم ، واعتبر (بايى) أيضا (متآمرا) وأعدم .

وغلا الثوار فى تعقب هذه الصلة حتى بلغوا مدام دى بارى خليلة لويس الخامس عشر فقالوا عنها أنها (متآمرة) كذلك وقدموها للجيلوتين .

ثم توسعوا فى تأويل (التآمر) مرة أخرى فدخل فى دائرته فوق من كانوا يتصلون بالأسرة المالكة كل من لم يكن يظهر بغضه للأسرة المالكة ومن هذا الباب دخل الجيرنديون أفواجا بين يدى (سامسون) جلاد باريس كما دخل غيرهم . وفى الحق أن هذا الباب كان فيه متسع للجميع . ولم تعد بقضاة المحكمة الثورية بعد من حاجة الى الاسترسال فى التأويل والتعليل .

وكثر الاقبال عل الجيلوتين فأنشا (سامسون) فروعا له فى جميع ميادين باريس الشهيرة بل أن مندوبيه انبثوا فى الأقاليم مع مندوبى لجنة الأمن العام .

الفصل العاشر

فى طريقهم الى الجيلوتين

عادت الثورة كالهرة تأكل بنيها ! ودارت عجلة الدهر الغادر بزعمائها ومفكريها ، بروادها وقوادها ، فهوت بالجميع من حالق وألقتهم تحت أقدام الجيلوتين .

صدر حكم الاعدام على زعماء الجرنديين . ونفذ الحكم فيهم أجمعين الا واحدا تعجل الموت بأن طعن نفسه عقب صدور الحكم . أما الباقون فانهم قضوا ليلتهم بين الغناء والرقص كأنهم فى عرس حتى كان الصباح فركبوا عربة الاعدام وساروا بها الى لقاء (سامسون) وكان الناس على طول الطريق يشيعونهم بقول « فلتحى الجمهورية » فكان يردد الأبطال هتافهم من العربة صائحين « فلتحى الجمهورية » ومما يؤثر عنهم أنهم تقدموا الى ساحة الاعدام وهم ينشدون نشيد المرسيين المشهور .

وأما « المواطن مساواة » — دوق أورليان الشهير — فقد كان فريدا فى يوم مماته كما كان فريدا فيما قبله من الأيام . ذهب الى

المليونديون في طريقهم الى الفصلة

المقصلة فى أزهى ملابسه وآخذها بالأبصار . وسارت به العربة أمام قصره (الباليه وايال) — فاذا مكتوب على حائطها بألوان العلم الفرنسى هذه الكلمات « الجمهورية واحدة لا تتجزأ — حرية . مساواة . إخاء — ملك الأمة ! » .

فلمعت عيناه بومضة من نار ، ولكنه ما لبث أن عاد الى هدوئه . وبلغت العربة ساحة الاعدام ، فصعد الى سامسون بقدم ثابتة وتقدم اليه الرجل يخلع نعليه . فقال : « لا بأس منهما . سيكون خلعهما أهون بعد الفراغ فهيا ! هيا ! » .

ثم جاء دور « مدام رولان » زعيمة الجيرنديين وزوج النائب رولان . وركب معها فى طريقها الأخير رجل اسمه (لامارش) وكانت ترهقه من الكآبة فترة فاشتغلت تلك السيدة الكريمة بتسليته والتفريج عن نفسه ولما بلغا جانب المقصلة جلس الزميلان . وطلبت مدام رولان ورقا وقلما لتدون « الخواطر الغريبة التى كانت تجيش فى صدرها » فلم يسمح لها حتى بذلك واطلعت فرأت تمثال « الحرية » قائما ازاءها فقالت كلمتها المشهورة « إيه أيتها الحرية . كم من الجرائم ترتكب باسمك الكريم[1] » .

---

(١) تاريخ الثورة الفرنسية لكارليل .

ثم جاء دور لامارش فتقدمت عليه ليرى كيف أن الموت سهل فيطمئن قلبه ولكن سامسون أبى عليها ذلك بدعوى أنه مخالف للنظام فأصرت قائلة :

« انكم لن ترفضوا آخر ملتمس تتقدم به اليكم سيدة ! » .

فأذعن لها الجبار !

وكان أعز الضحايا من بعد مدام رولان ذلك الشيخ الوقور رئيس الجمعية الوطنية الأولى وأول محافظ لمدينة باريس . أعنى به « بايى » المسكين الذى أرهق شيخوخته بالتفانى فى خدمة الشعب وتوفير سعادته . سيق فى اليوم العاشر من شهر نوفمبر الى الاعدام تحت رذاذ من الصقيع ووابل من السباب والأوحال التى كان يرميه بها الغوغاء . ولما وقفت به العربة فى ساحة (الشان دى مارس) أبى الشعب الا أن تنصب له الجيلوتين على كومة القاذورات التى فى جانب النهر فسارت العربة به اليها . وهناك وقف الشيخ المسكين ساعات طويلة فى الزمهرير حتى أتم الجلادون عملهم . ثم صعد الى المقصلة وهو ينتفض فلاحظ أحدهم عليه ذلك فأجابه الشيخ فى رزانة وحلم (Mon ami ! c'est de froid) — انها هزة البرد يا صاحبى !

وأعقب باي بيتيون وبارناف . وجاء بعد هذين كاستين وبقية القواد الذين لم يوفقوا فى مقاومة الأعداء فسار الى المقصلة هوشار الشجاع وبوهارنيه النبيل (زوج چوزفين التى تزوجها نابليون فيما بعد) ووسترمان البطل[1]. وان منهم جميعا الا كان واردها .

(١) الجمعيات الوطنية (للاستاذ عبد الرحمن الرافعى)

الفصل الحادي عشر

روح التبديل

وبلغت الثورة على القديم أقصاها . ووصلت بالناس نزعة التغيير الى منتهاها . فألغى التقويم المعروف واعتبر يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وهو اليوم الذى بدأت فيه الجمهورية فاتحة عهد جديد وتاريخا تؤقت به السنين والشهور كما فعل المسلمون بيوم الهجرة ثم قسمت السنة الى اثنى عشر شهرا متساوية كل شهر منها ثلاثة (أعاشير) بعد أن كان نحو أربعة (أسابيع) وجعل اليوم الأخير من كل (أعشور) يوم عطلة كما جعلت الخمسة الأيام التى تبقى فى آخر كل عام أيام عطلة عامة واستتبع هذا النظام ضياع معالم الأسبوع القديم بآحاده المقدسة ومواسمه الموروثة . فقام (جوبل) رئيس أساقفة باريس ودعا الناس الى نبذ الديانة المسيحية ولم يزد فى ذلك على المطالبة بالاعتراف بأمر كان واقعا من قبل . فقد شغل الناس منذ زمان عن الكنائس والعبادة والتفكير فيما بعد الموت بما كان يتهددهم من الاخطار التى لم يكن بد من أن تؤدى بهم الى الموت . ولاحت لهم بعض الفوائد العملية فى نبذ

الديانة وهدم الكنائس فنبذوها واستولوا على مافى الكنائس من أوانى الذهب والفضة ونزعوا منها أجراسها بعد أن قدر الخبراء منهم أنها تكفى لصنع ١٥,٠٠٠ مدفع .

وسرت فى القوم هذه الروح فقادهم ذلك الى وضع نظام جديد لمقاييس الطول والوزن والكيل فبنيت كلها على الأساس العشرى الذى انتشر استعماله بعد ذلك فى أنحاء المعمورة .

الفصل الثانى عشر

التنـــازع على الزعامة

كان زعماء الارهاب ثلاثة : دانتون . وروبسبير . ومارا . وكان لكل واحد من هؤلاء شيعته وأنصاره . وقد اتفقوا جميعا وعقدوا الخناصر على تخليص الوطن مما كان يتهدده من الأخطار .

فلما زال الخطر باخماد الفتنة فى الداخل وانتصار الجيوش الفرنسية فى الخارج ورسخت بذلك أقدام الجمهورية رأى دانتون أنه لم تعد ثمت حاجة الى المضى فى « الارهاب » . وان ذلك يكون من (اللجنة) خروجا على حدود الواجب الذى أنشئت للقيام به .

وكان روبسبير عضوا فى (اللجنة) التى يتهمها دانتون بالغلو والاسراف ويطعن فيما تتخذه من التحفظات التى يراها هو وأمثاله لازمة لصيانة الجمهورية والاطمئنان على سلامتها فوقع الخلاف بينهما على ذلك .

أما حزب مارا فانه بعد موت زعيمه أصبح فى يد شومت (Chaumette) وهيبر (Hebert) وأمثالهما من الفوضويين الذين قضوا على المسيحية ونشروا مبادىء الكفر وهدموا كل نظام قديم وكانوا سببا فى تلك الفوضى التى عمت فرنسا فى عهد الارهاب .

وكان شومت يسير (كومون باريس) على حسب هواه هو ووكيله هيبر كما كان روبسبير صاحب الكلمة النافذة فى (لجنة الأمن العام) . أما دانتون فانه كان قد اعتزل الخدمة العامة منذ زمان .

وكان روبسبير متشبعا بتعاليم روسو الدينية وكان يحفظ جيدا قول فولتير : « اذا لم يكن الله موجودا فان الضرورة تقضى بايجاده ! » ولذلك كان شديد الحنق على هيبر وأعوانه (الملحدين) وكذلك كان شديد الأيمان بفضل (الارهاب) فى دفع الأخطار التى كادت تقتل الثورة فلم ترقه دعوة دانتون الى إلقاء السلاح واستبدال أغصان الغار والزيتون به . وعلى ذلك فكر فى التخلص من الحزبين ليحكم فرنسا بنفسه على طريقته المثلى ويقيها شر ما يريده لها (أصدقاؤه الجهلاء) !

وكان المؤتمر قد قرر (١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٣) تحت تأثير كومون باريس وزعمائه الاحتفال باعلان الدين الجديد الذى ابتدعه هيبر باسم « عبادة العقل » فى كنيسة « نتردام دى بارى »

فجىء فى ذلك اليوم بامرأة « عاهرة مشهورة » استوت على عرش عال فى صدر الكنيسة لتكون رمز المعبود الجديد وباشر الناس بحضورها مراسم عيدهم . فكان لعملهم هذا من الوقع السيىء فى نفوس الجميع ما مكن روبسبير من مهاجمتهم فى إحدى خطاباته واتهامهم بأنهم لا بد أن يكونوا لأعداء الوطن عمالا وصنائع يعملون على هدم الجمهورية باسم التفانى فى سبيلها ويتقدمون باسم الفلسفة ليثيروا نار الحرب الأهلية فى البلاد . وكانت هذه التهمة كافية لارسالهم الى الجيلوتين فسيقوا اليها جميعا بعد ذلك بقليل .

ولم يكد يفرغ منهم روبسبير حتى حول وجهه نحو دانتون وحزبه لينفذ فيهم بقية قضائه .

وكان (كامى ديمولان) أشد أنصار دانتون ولسان حال حزبه لا يزال يعرض فى مقالاته بالدكتاتورية والاستبداد الثورى ويدعو الى التسامح والعفو والسلام . فما كان من روبسبير الا أن رد على هذه الحملات بخطبة من خطبه الشهيرة قال فيها :

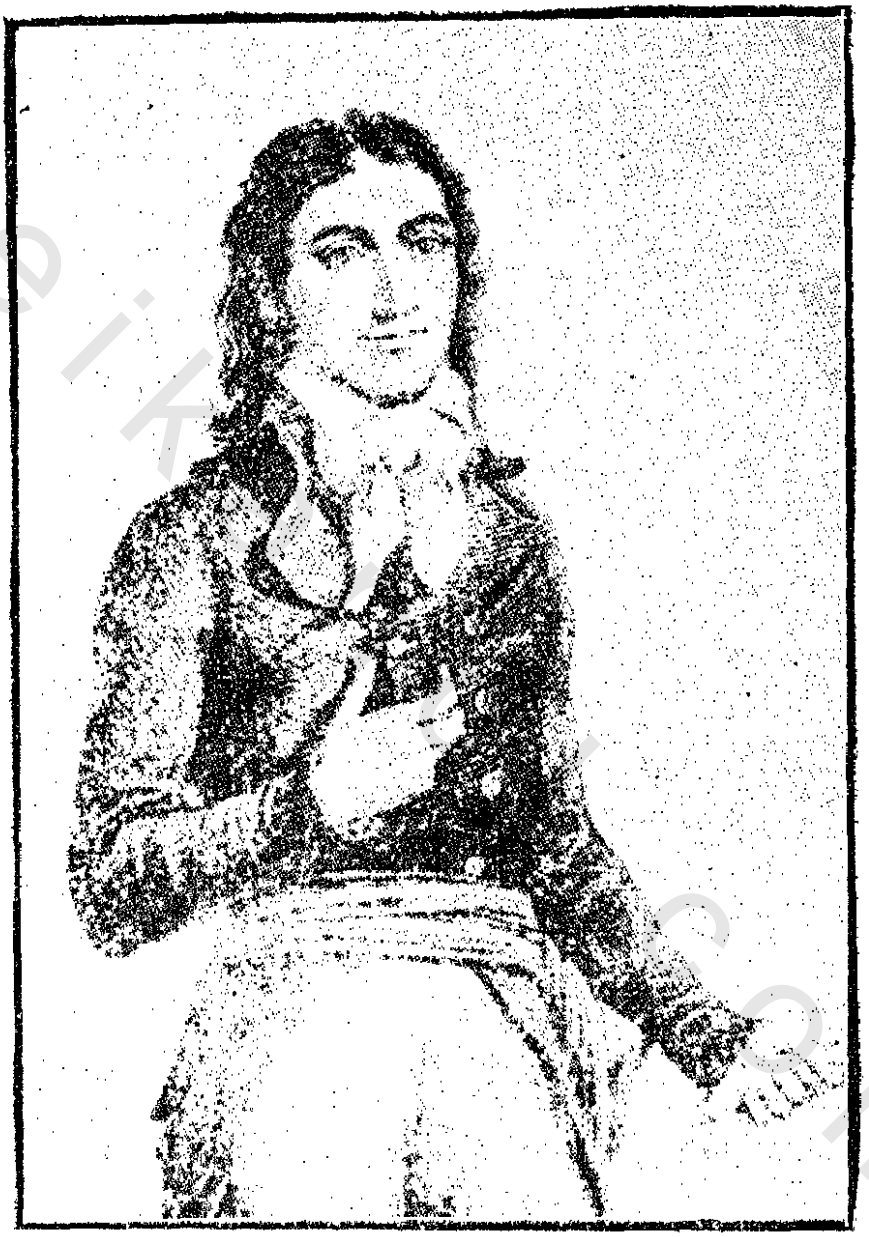

كامي ديمولان

« ويح هؤلاء الناس من معتدلين ومتطرفين ! أنهم يتقدمون الينا تحت ألوية مختلفة ويدخلون علينا من طرق متباينة ! ولكنهم جميعا يسيرون نحو غاية واحدة . وهل من غاية لهم إلا هدم هذه الحكومة الوطنية وتمكين عوامل الخراب من البلاد؟ لقد كان أحد الحزبين يريد أن يدفعنا الى حد التطرف وهذا هو الحزب الآخر يريد أن يقعد بنا مع العاجزين[1] ! » .

وأحس دانتون بعد ذلك أن عليه أن يقابل روبسبير ليتفاهم معه فزاره فى منزله وجرى بينهما حديث قال فيه دانتون : « لاشك أنه يجب علينا أن نقضى على الملكيين ولكن لا بد من أن نوجه ضرباتنا الى حيث تستفيد الجمهورية . وأن لا نأخذ البرىء بذنب المسيء ! » . فأجاب روبسبير : « ومن ذا الذى يقول بأننا قتلنا بريئا واحدا ؟ » . فالتفت دانتون باسما الى صاحب له كان معه وقال « ما رأيك فى هذا الكلام ؟ ان بريئا واحدا لم يقتل ! ؟ » .

وكانت هذه الكلمات فصل الخطاب بين الزعيمين .

وفى مساء اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٧٩٤ أحيط بمنزل دانتون ونقل منه الى معقل (اللكسمبرج) حيث لقى

(١) Fr. Rev. (Mignet.)

دانتون

أصدقاءه ديمولان ولاكروا ووسترمان وغيرهم فخاطبهم قائلا : « لقد كنت أسعى لخلاصكم أيها الرفاق ولكن هاءنا أساق معكم الى حيث لا يعلم الا الله ! » .

وقدم بعد ذلك دانتون وأصحابه الى محكمة الثورة . فلما سأله الرئيس عن اسمه وعمره ومحل سكنه قال : » . انى دانتون رجل الثورة . فى الخامسة والثلاثين من عمرى . ولن يكون لى سكن عما قريب . غير أن اسمى سيظل خالدا فى پانتيون التاريخ » .

وكانت اجاباته واجابات رفاقه تثير خواطر الجماهير فتدارك المحكمة الأمر وأسكتتهم بحجة أنهم لايحترمون الهيئة وقررت الحكم عليهم دون سماع اقوالهم فصاح دانتون .

« اننا نذهب ضحية أطماع طغمة حقيرة ! ولكنهم لن يتمتعوا طويلا بثمرة فوزهم الأثيم . أننى أجر روبسبير خلفى . وانه للاحق بى بعد قليل ! » .

ولقد كاد يتسرب الضعف الى قلب هذا البطل عندما اقترب من المقصلة فانه صاح : « آه يا أحب الناس الى — يا زوجتى ! لن أراك مرة أخرى ! » . . . ولكنه مالبث أن تشدد وقال مخاطبا نفسه : « لاتضعف يادانتون ! » . . . وتقدم الى الجلاد وهو

يقول : « اذا أتممت عملك فارفع للشعب رأسى عاليا فانه جدير بذلك ! ».

وهكذا انجلت معركة الزعماء عن هزيمة حزبى مارا ودانتون واتتصار روبسبير.

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

روبسبير

وقضى ربك أن يتحقق ظن الافرنج فى شؤم هذا الرقم (١٣) مرة أخرى فاذا هو يقع هنا رقما لروبسبير وعنوانا للنحس الذى لاقته باريس على يديه !

خلا له الجو بعد أن قضى على منافسيه . وأصبحت فرنسا كلها تدين بطاعته وتذعن لارادته فكان (الكومون) مواليا له كما كان (المؤتمر) لايقوى على معارضته . أما (اللجنة) فكان هو سيدها و ولى أمرها .

وقد أخذ على نفسه منذ البداية أن يطارد ديانة هيبير من عقول العامة . وأن ينشىء للناس دينا جديدا لا هو نصرانية القسس القديمة ولا هو إلحاد هيبير الحديث ولكنه دين أساسه الايمان بوجود إله قادر على كل شىء سماه هو «الذات العلية Etre Suprème» ودعا الناس الى عبادته وأقيمت لذلك حفلة فى اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٧٩٤ كانت فى الحقيقة مناورة دينية يراد بها

القضاء على شعوذة هيبير وازالة ما يمكن أن يكون قد علق بأذهان العامة من خزعبلاته .

ولكن أسلحة الارهاب لم تلبث فى يد هذا الطاغية أن زادت مضاء لاسيما بعد أن أحس بروح الحقد والحسد تدب فى نفوس زملائه وتنسم فى حركاتهم وأعمالهم روح التآمر به والتحزب عليه وكان مما عزز يقينه فى نواياهم أن وقع اعتداء على حياته يوما ما فلما نجا منه اتخذه ذريعة للامعان فى القضاء على خصومه وجمع أزمة السلطة كلها فى قبضة يده .

فقسمت محكمة الثورة الى عدة دوائر حتى يتضاعف نشاطها وأصبح قانون العقوبات الذى تطبقه مقتصرا على عقوبة واحدة هى عقوبة الاعدام . ولم تعد أدلة الادانة تتجاوز اقتناع المحلفين اقتناعا أدبيا بثبوت التهمة وكان أعضاء المؤتمر لا يمكن تقديمهم للمحاكمة الا بناء على قرار من (المؤتمر) نفسه فاصبحوا يحاكمون بناء على أمر (اللجنة) .

على أن هذه الاجراءات فى ذاتها كانت باعثا قويا لجمع شتات المعارضة التى أخذت تتألف سرا على روبسبير ونبهتها الى وجوب الاسراع فى العمل وانتهاز الفرصة لهدمه . وحدث بعد ذلك أن قامت عجوز من نساء باريس تدعو الناس الى عبادة روبسبير نفسه

روبســپير

باعتبار أنه مسيح جديد. فحمل الناس على هذه (القديسة !) حملة منكرة. وبلغ من استياء روبسبير لقيام تلك العجوز (بتبليغ رسالتها) على كره من (الإله) الذى تشتغل لحسابه مبلغا عظيما جعله ينسحب من الحياة العامة زمانا. فخلا مجال الدس أمام خصومه ووجدوا أن الفرصة التى كانوا يترقبونها قد سنحت أخيرا فنشطوا للقضاء عليه وعبثا حاول سان جوست أن يعدل بروبسبير عن رأيه فى الاعتزال والبعد عن المجتمعات. وظل الرجل يعتقد أن سحر شخصيته سوف يلقف ما يأفك أعداؤه اذا ماعاد بينهم على أنه كان واهما فى هذا الزعم. فان خصومه كانوا جميعا يخشون غدره و يتوقعون انتقامه. وهكذا تهيأت ظروف المعركة الحاسمة التى دخلها كل فريق وهو يعتقد أنه إما يخرج منها الى الصدر وإما ينزل فيها الى القبر !

وفى يوم ٢٦ يوليه سنة ١٧٩٤ حضر روبسبير جلسة المؤتمر وألقى فيها خطبة رنانة هاجم فيها خصومه مهاجمة شديدة. وكان المجلس قبل ذلك يقر كل كلمة يفوه بها ذلك الجبار. ولكنه فى هذه المرة قرر إحالة الخطبة على إحدى اللجان المختصة للنظر فيما حوته من التهم !

عند ذلك أحس روبسبير بالضربة الأولى تقع على أم رأسه.

وشعر بأن شخصيته تجردت من سحرها وأن كلامه عرّى عن قوته وتأثيره . وأن سحابة داكنة لاحت فى جو مستقبله تنذر باقتراب العاصفة . فثار ثائره وأسرع الى نادى اليعاقبة حيث أعوانه وخلصاؤه فألقى عليهم خطبته التى ألقاها فى المؤتمر فقابلوها بالتصفيق والحماسة العظيمة .

وفى جلسة المؤتمر التالية (٢٧ يوليه) عاد روبسبير الى المجلس وكانت فكرة اسقاطه قد اختمرت فى أذهان الأعضاء فقام النائب (تاليان) وشبهه بكرمويل وحمل على سياسته حملة موفقة قوبلت بالتصفيق الشديد . ونهض بعده النائب (فارين) فاتهمه علنا بالاستبداد والعمل على شل حركة المؤتمر فبهت روبسبير من هذه المفاجأة وخشى ان هو استمر فى صبره على هذه الأقوال أن تفعل فعلها فى النفوس ويتعذر عليه بعد ذلك أن يستعيد هيبته فقام محتدا وطلب الكلام .

ولكنه لم يكد يظهر على درجات منبر الخطابة حتى صاح الأعضاء فى وجهه « ليسقط الظالم ! ليسقط الطاغية ! » .

فوجم الرجل لحظة ثم عاد ملحا فى طلب الكلام . غير أن خصومه أصروا على أن لا يمكنوه من ذلك وتهوشوا عليه وترددت فى جوانب القاعة صيحاتهم : « ليسقط الظالم ! » ثم تقدم أحدهم

فى وسط هذه الضجة واقترح القبض عليه فصاح الأعضاء «نعم ! نعم ! الى السجن الى السجن ! » .

وعاد روبسبير للمرة الأخيرة يحاول الكلام ولكن صوته اختنق وسط السباب والشتائم التى كانت تنهال عليه فتقدم اليه النائب (جارنيه) قائلا بروح التشفى :

« ان دم دانتون يخنقك[1] ! » .

ثم قررت الهيئة القبض عليه فأودع السجن فى نفس الغرفة التى كان يشغلها بأمره دانتون وهيبير من قبله .

---

(١) الجمعيات الوطنية للاستاذ عبد الرحمن الرافعى .

الفصل الرابع عشر

خاتمة الارهاب

لم يكن روبسبير بطلا . ولا رجلا عظيما !

ولسنا نقول ذلك عنه الآن بعد أن دخل السجن . فنحن نعلم أنه سيخرج منه مرة أخرى ولكنه سيخرج يسعى أنصاره وجهودهم كما كان فى الماضى يتنقل فى مدارج الرقى والعظمة على سواعد أعوانه وشيعته . فكان هؤلاء هم الذين يرفعونه ولم يكن هو يعمل — ويقول بعض عارفيه أنه لم يكن يستطيع أن يعمل — على رفع نفسه ولم يثبت فى حقه يوما أنه دبر خطة وجهها نحو غاية معينة ثم أخذ على نفسه تنفيذها واخراجها الى حيز العمل . وانما وقع له ما وقع من السلطان بحكم خلو الميدان من الزعماء الآخرين الذين سقطوا بعوامل لادخل لارادته فيها .

فلما انتشر فى باريس خبر سجنه ثار له اليعاقبة وحملوا سلاحهم وذهبوا به الى السجن فأخرجوا منه زعيمهم . ثم ساروا فى منتصف الليل الى دار المؤتمر حيث كان المجلس منعقدا فأظهر الأعضاء من الحكمة ورباطة الجأش ماضمن لهم الفوز النهائى على أولئك المشاغبين

الأشقياء وقرروا فى رزانة ووقار أن المؤتمر يعتبر روبسبير وأعوانه خارجين على القانون . فوقع هذا القرار من نفس الثائرين موقعا مهيبا وارتبكوا تحت تأثيره ولم يلبثوا أن انفضوا عن المكان وعادوا حيث كان روبسبير مجتمعا بأصفيائه فى (الكومون) فأبلغوهم قرار المؤتمر فاضطرب له روبسبير وأدرك أن الجمهور لا يكن أن يغامر معه بعد هذا القرار . فحاول الانتحار بأن أطلق على نفسه رصاصة من مسدسه أصابته فى فكه . ولكن تاريخ هذه الساعات لا يزال متناقضا مضطربا لم تنجل حقيقته بعد . فان جنود المؤتمر دخلوا على العصاة فى تلك الساعة للقبض عليهم . فادعى غلام اسمه «مردا» (Merda) أنه هو الذى أطلق الرصاص على روبسبير وتقدم بهذه الدعوى الى المؤتمر فصدقه وكافأه بترقيته الى رتبة ملازم ويؤكد بعض المؤرخين بأن هذه هى الرواية الصحيحة فى اصابة روبسبير كما يؤكد غيرهم بأن الرواية الأولى أصح .

ومهما يكن من أمر الجريح فان عصابة جمعت فكه المدلى الى بقية رأسه وطرح على مائدة طويلة ووضع تحت رأسه صندوق من خشب الصنوبر وكانت أصابع يده لا تزال متشنجة على قبضة مسدسه ووقف الناس حوله يسبونه ويسخرون منه بين سمعه وبصره ولكنه ينظر اليهم ولا يقوى على شىء !

رو بسبير جرنج

فيا عجبا لهذه الأقدار . لقد ذهب بعض الفلاحين قبيل الثورة الى أحد الأشراف وشكوا له الجوع وانعدام الطعام فنصحهم أن يأكلوا العشب . فلما قامت الثورة كان نصيب هذا الشريف أن يصلب ويحشى فمه بالعشب !

وهذا هو روبسبير كان يكاد يملك على الناس أنفاسهم التى تتردد فى صدورهم فأبت الأقدار الا أن يلقى أمامهم مختوم الفم مفتوح العينين والأذنين ليذوق مرارة السكوت على أن يسمع الانسان ما يكره ويرى ما لا يحب !

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢٨ يوليه سنة ١٧٩٤ كانت عربات الاعدام تجرى مرة أخرى نحو (ميدان الثورة) وسط الجموع المتراصة التى لم يسبق لها نظير فى شوارع باريس وكانت تحمل هذه العربات (عصابة روبسبير) ومن بينهم سيمون الأسكاف أستاذ ولى العهد فى التامبل فلما بلغت مستقرها طرح الزعيم الجريح الى جانب المقصلة حتى يأتى دوره . وأخيرا رفعه سامسون بين ذراعيه فتفتحت عيناه لتشهدا نصل المقصلة الدامى مصلتا فوق رأسه . وامتدت يد الجلاد الى العصابة التى حول فكه فانتزعتها وانفرج الفكان عن صيحة كريهة وتدلى فكه الأسفل على صدره مرة أخرى . . . . . ثم هوت على رأسه السكين[1] !

(١) Fr. Rev. (Carlyle.)

الفصل الخامس عشر

انتهاء الثورة

قتل روبسبير وارتفع ذلك الكابوس المفزع الذى طحن فرنسا تحت كلكله تلك الشهور الطوال . وأحس الناس بعد موته كأنما أفاقوا من حلم مريع . وأصبحوا يتلهفون جميعا للعودة الى الحياة الأولى . حياة الدعة والسكينة والاطمئنان . وأنساهم مساوئ تلك الحياة ما أصبحوا فيه من الضنك والرعب والارتباك . وتعالت الأصوات من كل ناحية بمطاردة عمال الارهاب والتخلص من نفوذهم . فألغيت محكمة الثورة وأغلقت أندية اليعاقبة وأخليت السجون من كثير من نزلائها . وعاد الناس يتنفسون فى جو من الحرية المنعش ودبت الحياة فى انقاض حزب الجيرنديين وتجمعت فلوله التى بقيت بالمؤتمر وحاولت أن تقبض مرة أخرى على دفة الحكم وتعود بتلك السفينة المرتطمة التى خلفها لها روبسبير الى شاطىء السلام والرخاء والنظام . وانحازت أغلبية المجلس الى الجيرنديين وانتعشت الآمال فى قرب انفراج الأزمة واشتغل المؤتمر بوضع نظام نهائى لحكومة الجمهورية .

ولكن اليعقوبيين لم تكن تروقهم هذه الحركة بطبيعة الحال فانتشروا يثيرون الناس من جديد على هيئة المؤتمر . وساعدهم فى نشر هذه الدعوة ما كانت تعانيه البلاد من الضيق وقلة الاقوات فكثرت اجتماعات العمال والغوغاء وأخيرا تقدموا للمؤتمر بطلباتهم وفى مقدمتها تنفيذ دستور ١٧٩٣ الذى وضع فى عهد الارهاب وحالت ظروف البلاد فى ذلك الوقت العصيب دون تنفيذه . وكان يمتاز هذا الدستور بأنه يجعل الحكم للشعب مباشرة لأن حق الانتخاب فيه مقرر لكل من بلغ عمره ٢١ سنة وكانت السلطة التشريعية بمقتضاه فى يد مجلس واحد ينتخب أعضاؤه بالاقتراع العام . وكان لا بد لنفاذ القوانين التى يصدرها هذا المجلس من استفتاء الشعب فيها استفتاء عاما . أما السلطة التنفيذية فكانت لا تقل عن السلطة التشريعية استنادا الى مشيئة الشعب .

وغنى عن البيان أن مثل هذا الدستور كان أدعى الى الفوضى منه الى النظام نظرا لأنه يحاول أن يشرك أفراد الأمة كلها فى حكم البلاد . فقرر المؤتمر ادخال بعض التعديل على نصوص هذا الدستور وعينت لجنة للقيام بهذا العمل فثار الجمهور بايعاز اليعاقبة وهاجم دار المؤتمر واقتحم أبوابها واختلط بالاعضاء وحاول أن يحملهم بالارهاب على اجابة مطالبه ولكن هيئة المؤتمر ظلت ثابتة واعتصمت

بالحكمة والرزانة حتى تفرق الثائرون وعند ذلك أسرعت الى اصدار قرار بأن حرية مداولات المؤتمر قد اعتدى عليها فى ذلك اليوم وأنه لابد من اجراء التحقيق لمعرفة زعماء هذه الفتنة وتوقيع العقاب عليهم كما قررت نفى أربعة من زعماء اليعقوبيين من فرنسا واعلان الأحكام العرفية فى باريس وتعيين الجنرال « بشيجرو » حاكما عسكريا للمدينة حتى يزول خطر الفتنة ويعاقب مدبروها وهكذا تمكن المؤتمر من رد كيد العصاة فى نحورهم .

وانتهت هذه الجلسة التاريخية فى الساعة السادسة من صباح ٢ أبريل بعد أن ظلت سواد الليل منعقدة بلا انقطاع (١).

ورأى اليعاقبة بعد هذه الهزيمة المنكرة أن المؤتمر أثبت من أن تزعزعه مظاهراتهم ومفاجآتهم فقرروا فيما بينهم أن يرسموا خطة منظمة لمهاجمته واضطرار أعضائه بقوة السلاح الى التسليم بمطالبهم وأهمها الافراج عن زعمائهم واعادة دستور سنة ١٧٩٣ من غير تعديل.

وفى صبيحة اليوم التالى (٢٠ مايو سنة ١٧٩٥) أطبقت جموعهم حول قاعة الاجتماع ثم دخلوها مدججين بالسلاح وأحاطوا برئيس الجمعية ليحملوه على اقرار مايطلبون ولكنه بقى ثابتا رابط الجأش على الرغم من وقاحة مهاجميه . وأخيرا تقدم النائب (فيرو)

(١) الجمعيات الوطنية « للرافعى » .

ليصد عنه الغوغاء فرماه أحدهم برصاصة قتلته وحمل الثوار جثته الى الخارج حيث مثل بها الرعاع وقطعوا رأسه ودخلوا به الى القاعة محمولا على رمح طويل . واستمرت الفوضى نحو ست ساعات تقضت على مثال ساعات الثورة الأولى . ولكن جنود الحكومة تمكنت فى النهاية من إخماد الفتنة وتخليص الأعضاء مما كان يحيط بهم من الأخطار . وقد انتقم المؤتمر لنفسه هذه المرة انتقاما ذريعا فقرر القبض على جميع الزعماء اليعاقبة ومحاكمتهم وتجريد كل من يشتبه فى انتمائه الى اليعقوبيين من السلاح . وسيرت حملة عسكرية على معقل الفتنة فى شارع سانت أنتوان لتنفيذ هذا القرار فوقع فى يدها كثير من الزعماء وحكم على كثير منهم بالاعدام وبذلك هدأت الأحوال . وعاد المؤتمر يتناقش فى مشروع الحكومة الجمهورية الجديدة .

فتقرر أن تتكون الهيئة التشريعية من مجلسين : يتألف أحدهما من ٥٠٠ عضو ويسمى مجلس الخمسمائة ، ويتألف الآخر من ٢٥٠ عضواً لا يقل عمر أحدهم عن ٤٠ سنة ويسمى مجلس الشيوخ . وقد جعل لمجلس الخمسمائة وحده الحق فى تقديم مشروعات القوانين والمناقشة فيها على أن تعرض بعد ذلك على مجلس الشيوخ ليقرها أو يرفضها . أما السلطة التنفيذية فقد وضعت فى يد مجلس يتألف

من خمسة مديرين يتعاون فى انتخابهم مجلس الخمسمائة ومجلس الشيوخ . ويسقط كل سنة واحد منهم بالاقتراع .

وقد رأى المؤتمر أن يزيد على قواعد هذا الدستور قاعدة أخرى اشترط فيها أن ينتخب ثلثا الهيئة الجديدة من بين أعضائه وينتخب الثلث الباقى فقط من الخارج . وذلك ليضمن توفر الأغلبية التى تسير بالحكومة على خطته وليأمن جانب الدخلاء وسوء تصرفهم فى ادارة شئون البلاد . فكان هذا القرار كفيلا باحداث ثورة عامة من الملكيين واليعقوبيين . ولكن المؤتمر كان قد استعد للطوارىء . فسلم قيادة الجيش الداخلى الى (بارا) الذى ألقى عبء صيانة المؤتمر على عاتق ضابط من ضباطه الأكفاء وهو نابليون بونابرت الكورسيكى الذى ميز نفسه فى حصار تولون فما كان من نابليون هذا الا أن نصب مدافعه حول المجلس وصوب أفواهها نحو كافة الطرق التى تؤدى اليه . فلما أقبل الثوار كعادتهم صائحين صاخبين طلب اليهم باسم الحكومة أن يعودوا من حيث أتوا والا أطلق عليهم مدافعه . فسخروا منه ولم يستمعوا له وأعرضوا عن مقالته وحسبوه هازلا فيما ادعاه . فأرسل عليهم ناره وأمطرهم وابلا من قذائفه فأهلك كثيرا منهم . وفر الباقون بعد أن تحققوا جد نابليون وأنهم كانوا هم الهازلين .

وفى ٢٦ أكتوبر سنة ١٧٩٥ انحل المؤتمر الوطنى وانعقدت هيئة حكومة (الادارة) الجديدة فى اليوم التالى .

نابليون بونابرت